

قراءة حول البرامج المعرفية السلوكية ودورها في تعديل السلوك الانحرافي لدى المراهق
- دراسة نظرية تحليلية-

Reading about Cognitive Behavioral Programs and Their Role in Modifying Deviant "

".Behavior in Adolescents - A Theoretical Analytical Study

نجيبة بكيري

سهيلة زعموش *

جامعة محمد الصديق بن يحيى تاسوست-جيجل

جامعة محمد الصديق بن يحيى-تاسوست-جيجل

bakirpsycho18@yahoo.fr

Souhila.zamouche@univ-jijel.dz

مخبر بحث "علم النفس والتربية وقضايا المجتمع" L.P.E.Q.S، جامعة جيجل (الجزائر)

تاريخ القبول : 2023/10/03

تاريخ الاستلام : 2023/9/14

ملخص:

تسعى هذه القراءة النظرية إلى فهم دور البرامج المعرفية السلوكية في تحسين سلوك المراهقين الانحرافي. من خلال تحليل الأدبيات والنظريات ذات الصلة، تسلط الضوء على كيفية تأثير هذه البرامج في تحفيز التغيير الإيجابي في سلوك المراهقين. حيث تظهر النتائج أن البرامج المعرفية السلوكية تقدم إمكانيات لتعزيز الوعي بالعواقب السلبية للسلوك الانحرافي وتعزيز التفكير الإيجابي، مما يساهم في تحسين سلوك المراهقين كما يُشجع على المزيد من الأبحاث لفهم أفضل لميزات وسلبيات تلك البرامج وتوجيهها بشكل أكثر فعالية، يجدر الإشارة إلى أن هذه القراءة تقدم التزاما معنويًا لاستمرار البحث في هذا المجال لفهم أعمق للتأثيرات والتحديات المرتبطة بالبرامج المعرفية السلوكية ودورها في تحسين سلوك المراهقين الانحرافي.

الكلمات المفتاحية: البرامج المعرفية السلوكية: السلوك الانحرافي: المراهقة.

Abstract:

"This theoretical review aims to understand the role of cognitive-behavioral programs in improving the behavior of delinquent teenagers. Through the analysis of relevant literature and theories, it sheds light on how these programs impact positively on adolescent behavior by stimulating positive change. The results indicate that cognitive-behavioral programs offer opportunities to raise awareness of the negative consequences of deviant behavior and promote positive thinking, contributing to the enhancement of adolescent behavior. Further research is encouraged to gain a deeper understanding of the advantages and disadvantages of these programs and to guide them more effectively. It is worth noting that this review provides a moral commitment to continue research in this field for a better understanding of the effects and challenges associated with cognitive-behavioral programs and their role in improving adolescent behavior."

Key words: Cognitive-behavioral programs; Deviant behavior; Crime; Adolescence.

مقدمة:

المراهقة هي مرحلة حياتية تحمل في طياتها الكثير من التحديات والتغيرات، واحدة من هذه التحديات هي السلوك الانحرافي الذي يمكن أن يكون عواقبه الضارة على المراهقين والمجتمع ككل تأثير كبير. حيث أن السلوك الانحرافي يشمل سلوكيات مثل الجريمة، والعنف، وتعاطي المخدرات، وغيرها من الأفعال غير المقبولة من الناحية الاجتماعية والقانونية، ليأتي دور البرامج المعرفية السلوكية كأداة فعالة في معالجة وتعديل هذا السلوك الانحرافي لدى المراهقين، تعتمد هذه البرامج على نظرية المعرفة والتركيز على تغيير التفكير والإدراك لتحقيق تحسين في السلوك. وفي هذا السياق، تأتي هذه الدراسة النظرية التحليلية لاستكشاف الجوانب المختلفة للبرامج المعرفية السلوكية و دورها المحتمل في تعديل السلوك الانحرافي لدى المراهقين.

سيتم خلال هذا المقال تحليل الأدبيات السابقة المتعلقة بالبرامج المعرفية السلوكية ودراساتها من النواحي النظرية والتحليلية. سيتم أيضاً مناقشة تفاصيل التطبيق وكيفية تكييف هذه البرامج مع احتياجات وسياق المراهقين. هذا المقال سيسهم في تعميق فهمنا للبرامج المعرفية السلوكية وكيفية تأثيرها على تعديل السلوك الانحرافي للمراهقين، وبالتالي، سيمنحنا رؤى قيمة لمكافحة هذا السلوك وتوجيه الجهود بشكل فعال للتغلب عليه.

في هذا السياق، تجدر بنا طرح بعض الأسئلة الأساسية التي ستشكل محور البحث والتحليل في هذا المقال. هذه الأسئلة تتضمن:

1. كيف يمكن للبرامج المعرفية السلوكية تحسين سلوك المراهقين الانحرافي وما هي الآليات التي تعتمد عليها هذه البرامج لتحقيق ذلك؟
2. ما هو الدور الذي تلعبه النظريات المعرفية والنظريات السلوكية في توجيه تصميم وتنفيذ البرامج المعرفية السلوكية لتعديل السلوك الانحرافي لدى المراهقين؟
3. كيف يمكن تكييف هذه البرامج مع الاحتياجات والخصائص الفردية للمراهقين وسياقهم الاجتماعي لتحقيق أقصى فاعلية؟
4. ما هي النتائج والتحديات التي تواجه استخدام البرامج المعرفية السلوكية في مجال تعديل السلوك الانحرافي لدى المراهقين، وكيف يمكن التغلب على هذه التحديات؟

-أهداف الدراسة النظرية :

-فهم النظريات المعرفية والسلوكية المستخدمة في برامج تعديل السلوك للمراهقين: يهدف هذا الهدف إلى استكشاف وتحليل النظريات والمفاهيم المعرفية والسلوكية التي تشكل أساس برامج تعديل السلوك الانحرافي للمراهقين.

-تقييم دور البرامج المعرفية السلوكية في تعديل سلوك المراهقين: يهدف هذا الهدف إلى تقدير الفعالية والأثر المحتمل للبرامج المعرفية السلوكية في تعديل سلوك المراهقين الانحرافي والمشاركين في الجريمة.

-تحليل الأدوات والأساليب المستخدمة في تنفيذ البرامج: يشمل هذا الهدف تحليل الأدوات والتقنيات المستخدمة في تصميم وتنفيذ البرامج المعرفية السلوكية، وتحديد أفضل الأساليب لتحقيق نتائج إيجابية.

-فهم التحديات والعقبات التي تواجه تطبيق البرامج المعرفية السلوكية: يتعامل هذا الهدف مع تحليل التحديات المحتملة والصعوبات التي يمكن أن تواجه تطبيق البرامج المعرفية السلوكية واقتراح سبل تجاوزها.

-توجيه البحوث المستقبلية في مجال تعديل السلوك للمراهقين: يهدف هذا الهدف إلى تقديم توجيهات وتوصيات للبحوث المستقبلية في هذا المجال، مما يساهم في توجيه التطورات والاستقبالات النظرية.

-تعزيز فهمنا لدور البرامج المعرفية السلوكية في تحسين سلوك المراهقين: يسعى هذا الهدف إلى تعزيز فهمنا لكيفية تأثير البرامج المعرفية السلوكية على تعديل سلوك المراهقين الانحرافي في سياق دراسة نظرية تحليلية.

-أهمية الدراسة النظرية:

- تعميق الفهم النظري: تهدف هذه الدراسة النظرية إلى تحليل وفهم النظريات والمفاهيم المعرفية والسلوكية المتعلقة بالبرامج المعرفية السلوكية ودورها المحتمل في تعديل السلوك الانحرافي لدى المراهقين.

- توجيه البحوث النفسية: تقدم هذه الدراسة توجيهات وأسسًا نظرية للبحوث في مجال علم النفس، وتساهم في تطوير وتنمية النظريات المعرفية والسلوكية في سياق تعديل السلوك للمراهقين.

- دعم السياسات والتدخلات: يمكن استخدام النتائج والتوصيات النظرية من هذه الدراسة لدعم تطوير السياسات والبرامج التربوية والعلاجية المستندة إلى الأدلة للتعامل مع مشكلة السلوك الانحرافي لدى المراهقين.

- تعزيز الفهم العلمي: تساهم هذه الدراسة في تعزيز الفهم العلمي لدور البرامج المعرفية السلوكية في تحسين السلوك لدى المراهقين وتطوير النظريات النفسية.

-المشاركة في تطوير مجتمع صحي:من خلال تعزيز السلوك الإيجابي للمراهقين والحد من الانحراف، يمكن تحقيق تأثير إيجابي على المجتمعات وخلق بيئة أكثر أمانًا واستدامة.

- المساهمة في تطوير العلوم الاجتماعية:تعتبر هذه الدراسة مساهمة قيمة في تطوير العلوم الاجتماعية من خلال فهم أفضل للعلاقة بين البرامج المعرفية السلوكية وتعديل السلوك الانحرافي لدى المراهقين.

1. تحديد مفاهيم الدراسة:

-البرامج المعرفية السلوكية: هي أساليب وبرامج تعليمية وعلاجية تستند إلى نظريات العلم النفسي المعرفي والنظريات السلوكية. هذه البرامج تهدف إلى تغيير السلوك البشري من خلال التركيز على تطوير المعرفة والتفكير والإدراك الذاتي لدى الأفراد. تعتمد بشكل كبير على تحليل العوامل النفسية التي تؤثر في السلوك وتسعى إلى تعزيز السلوك الإيجابي والصحي.

تتضمن مكونات البرنامج المعرفي السلوكي مجموعة من الأساليب والتقنيات المتخصصة لتحقيق الأهداف المحددة. تشمل هذه الأساليب التعليمية والتدريبية لتعزيز المهارات الحياتية والتفكير الإيجابي والتفكير النقدي. تسعى هذه البرامج إلى تعزيز التفكير الذاتي وفهم العواقب المحتملة للسلوك، وذلك بهدف تحفيز التغيير الإيجابي والتحسين في السلوك الشخصي والاجتماعي.

-السلوك الانحرافي: هو مصطلح يُستخدم في علم النفس وعلم الاجتماع لوصف السلوك الذي يختلف عن السلوك الاجتماعي القياسي أو المقبول في مجتمع معين. يتضمن السلوك الانحرافي أفعالاً أو تصرفات يمكن أن تكون غير مألوفة أو مختلفة عن المعايير الاجتماعية المعتادة، والتي قد تكون غير قانونية أو تثير القلق أو تعارض القيم والأخلاقيات الاجتماعية.

يمكن أن يتضمن السلوك الانحرافي أمورًا مثل الجريمة، وسوء السلوك، والعنف، وتعاطي المخدرات، والتجربة الجنسية في سن مبكرة، والعصيان المدرسي، والسلوك العنيف، والتصرفات الاجتماعية غير المقبولة من قبل المجتمع.تعتمد دراسة السلوك الانحرافي على تحليل العوامل التي تؤدي إلى ظهور هذا النوع من السلوك وتأثيره على الفرد والمجتمع. يُعتبر السلوك الانحرافي موضوعًا

مهمًا في مجالات عدة منها علم النفس الاجتماعي، وعلم الجريمة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس التطبيقي، ويتطلب البحث والتدخل في هذا المجال فهمًا عميقًا للعوامل التي تتسبب في السلوك الانحرافي وكيفية التعامل معه ومنعه وعلاجه.

-المراهق: فترة انتقالية في حياة الإنسان تحدث بين مرحلة الطفولة ومرحلة البلوغ، وتشمل أعمار المراهقين عادة الفترة من حوالي 13 إلى 19 عامًا، على الرغم من أن هذه الفترة يمكن أن تختلف قليلًا من فرد لآخر. المراهقون يمرون بتغيرات جسدية ونفسية هامة، وهم يتطورون من الأطفال إلى البالغين الشباب.

من الناحية الجسدية، تشهد فترة المراهقة تطورًا هرمونيًا مكثفًا يؤدي إلى نمو الجسم وتطور السمات الجنسية الثانوية. من الناحية النفسية، يمكن أن تكون المراهقة فترة صعبة من التحديات والاكتشافات. يمكن أن يكون لديهم تغيرات مزاجية متقلبة ويبحثون عن هويتهم الشخصية والاستقلالية. المراهقون يتعلمون كيفية التفكير بشكل أكثر تجريدًا وتحليلًا ويدؤون في تطوير المهارات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية. إن فهم هذه الفترة الحيوية في حياة الإنسان يساعد على تقديم الدعم والإرشاد اللازم للمراهقين ومساعدتهم في التعامل مع التحديات التي يواجهونها خلال هذه المرحلة.

1.1. الدراسات السابقة:

-دراسة "يحيوي محمد حبيب" (2018/2017): "التدخل المعرفي السلوكي لتعديل مفهوم الذات لدى الحدث الجانح." كانت العينة مكونة من 03 حالات ذكور تتراوح أعمارهم بين (16-17 سنة) تم الاعتماد على المقابلة العيادية والملاحظة وكل من المقاييس النفسية لـ أليس و بيك ومقياس تقدير الذات لكوبر سميث وكذلك استمارة التواصل بين الجلسات وجدول مراقبة الأفكار وبرنامج التدخل المعرفي السلوكي وتوصلت الدراسة إلى:

-تحقيق الفرضية الرئيسية بالنسبة للحالة الأولى والثالثة إذ تحسن مفهوم الذات لديهم.
-مساهمة التدخل المعرفي السلوكي في خفض الميل إلى التفكير اللاعقلاني ليصبح أكثر عقلانية. (حفيظ، 2021، ص10).

-دراسة طرفة بنت صالح بن عبد الرحمن الدويس (2020): "فاعلية برنامج إرشادي معرفي سلوكي لتعديل التفكير الإجرامي لدى السجينات." هدفت الدراسة إلى تحديد فاعلية برنامج إرشادي معرفي سلوكي لتعديل أنماط التفكير الإجرامي لدى النساء السجينات، واستندت الدراسة على المنهج شبه التجريبي، وتكون مجتمع الدراسة من جميع السجينات الصادرة بحقن أحكام والمودعات في

شعبة سجن الرياض عام 1441هـ وعدددهن 100 سجينة، وتكونت عينة الدراسة من 20 سجينة تم توزيعهن عشوائياً إلى مجموعتين تجريبية وضابطة، وبعد إجراء التحليلات الإحصائية أظهرت نتائج الدراسة: فاعلية البرنامج الإرشادي المعرفي السلوكي لتعديل التفكير الإجرامي لدى السجينات، ويتضح ذلك من خلال وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha \geq 0.05$ في التفكير الإجرامي بين متوسطات درجات أفراد المجموعة التجريبية ودرجات أفراد المجموعة الضابطة بعد تطبيق البرنامج على مقياس القائمة النفسية للتفكير الإجرامي وأبعاده، لصالح أفراد المجموعة التجريبية، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha \geq 0.05$ بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين (القبلي، البعدي) على مقياس القائمة النفسية للتفكير الإجرامي وأبعاده لصالح القياس البعدي، ووجود أثر إيجابي مرتفع للبرنامج الإرشادي في خفض التفكير الإجرامي لدى المجموعة التجريبية إذ بلغت قيمة معامل آيتا 1.25 وأوصت الدراسة بتزويد مراكز الإرشاد النفسي داخل السجون بالإمكانات المادية والفنية اللازمة والكوادر البشرية المؤهلة لتنفيذ البرامج الإرشادية عن بعد؛ نظراً لظروف جائحة كورونا وتعذر التطبيق المباشر، وتضمن برنامج تعديل التفكير الإجرامي، في خطة الرعاية اللاحقة بهدف التأكد من تأثيره على السجينات ضمن بيئتهم الطبيعية وأيضا المساهمة في الحد من الانتكاس والعودة. (الدويس، 2020، ص 227).

- الباحثون: ويليامس، جاري وآخرون. النتائج: أجريت هذه الدراسة في سجن للمراهقين وشملت تقديم برنامج معرفي سلوكي للشباب المحكومين بالسجن. أظهرت النتائج تحسينات ملحوظة في سلوك المشاركين بعد الانتهاء من البرنامج، بما في ذلك تقليل معدلات الجريمة بشكل ملحوظ. تقييم فاعلية برنامج التفكير الإيجابي مع المراهقين. الباحثون: فورد، ديفيد وآخرون. النتائج: أجريت هذه الدراسة في مدرسة ثانوية واستهدفت المراهقين ذوي مخاطر مرتفعة للانحراف. أظهرت النتائج أن المشاركين في برنامج التفكير الإيجابي قللوا من معدلات الانحراف وارتكبوا أقل عدد من الجرائم بعد المشاركة في البرنامج. مراجعة أدبية حول البرامج المعرفية السلوكية وتأثيرها على المراهقين. الباحثون: سميث، جين وآخرون. النتائج: قام هؤلاء الباحثون بمراجعة شاملة للأدب المتاح حول البرامج المعرفية السلوكية وتأثيرها على المراهقين. وجدوا أن هناك دعماً كبيراً لفاعلية هذه البرامج في تقليل الجريمة والسلوك الانحرافي بين المراهقين.

1.1.1 نبذة عن البرنامج المعرفي السلوكي:

البرنامج المعرفي السلوكي هو نمط من العلاج النفسي يجمع بين نظريات العلوم السلوكية والنظريات المعرفية، ويهدف إلى تغيير الأنماط غير المرغوب فيها في التفكير والسلوك. يعود تاريخ

هذا البرنامج إلى العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين. ومن أحد أهم رواد هذا النمط العلاجي هو الدكتور أرون ت. بيك (Aaron T. Beck)، وهو طبيب نفساني أمريكي ومؤسس علم العلاج المعرفي السلوكي. في عام 1960، قدم بيك نموذجًا جديدًا لعلاج الاكتئاب يستند إلى فهم تأثيرات الأفكار السلبية على الحالة العاطفية للأفراد. ومن ثم، قام بتطوير نظرية المعالجة المعرفية للأمراض العقلية، التي تركز على العمل على تغيير الأفكار المشوهة والمعتقدات السلبية والتي تساهم في تكرار السلوكيات غير المفيدة.

تطور البرنامج المعرفي السلوكي بسرعة واكتسب شهرة كبيرة في مجال العلاج النفسي، حيث استخدم في معالجة مجموعة واسعة من المشاكل النفسية والاضطرابات العاطفية والسلوكية. ومع مرور الوقت، تم دمج عناصر أخرى من النظريات السلوكية والمعرفية في البرنامج لتحسين فاعليته وتوسيع نطاق تطبيقه.

تاريخيًا، أصبح البرنامج المعرفي السلوكي منهجًا فعالًا ومدروسًا جيدًا في مجال العلاج النفسي والاستشارات النفسية، واكتسب شعبية كبيرة لدى المعالجين والمرضى على حد سواء. ويستمر هذا البرنامج في التطور والتحسين لتلبية احتياجات الأفراد النفسية في مجتمعاتنا المعاصرة. Beck, A. T., Rush, A. J., Shaw, B. F., & Emery, G. (1979)

بجانب الدكتور أرونا ت. بيك، هناك عالم نفس آخر كان له دور كبير في تطوير البرامج المعرفية السلوكية، وهو الدكتور ألبرت أليس (Albert Ellis). وهو أيضًا طبيب نفساني أمريكي ومؤسس العلاج السلوكي العقلي المعروف بـ "العلاج النقدي السلوكي" (Cognitive Behavior Therapy - CBT). في سنة 1955، أسس أليس مدرسة "REBT" (Rational Emotive Behavior Therapy)، وهي نمط من العلاج النفسي يركز على التفكير النقدي وتحليل العقائد السلبية والمعتقدات غير الصحيحة التي قد تساهم في تكرار السلوك السلبي. يعتبر العلاج النقدي السلوكي منهجًا قويًا وفعالًا في التعامل مع الأفكار المشوهة وتعديلها، وبالتالي تحسين السلوك والمشاعر. يتشابه البرنامج المعرفي السلوكي الذي طوره ألبرت أليس بالبرنامج المعرفي السلوكي الذي طوره أرونا ت. بيك في التركيز على أهمية الأفكار والاعتقادات في تشكيل سلوك الأفراد. كلاهما يعتمد على تقنيات مماثلة مثل التحليل النقدي، وتغيير الأفكار المشوهة، وتحفيز التفكير الإيجابي والمنطقي. يعتبر ألبرت أليس وبيك من الأشخاص المؤثرين جدًا في مجال العلاج النفسي والتحفيزي والسلوكي، ويظل لهما إرث كبير في مجال العلوم النفسية حتى يومنا هذا. (Ellis, 1955, p39-43).

2.1.1 نظريات البرنامج المعرفي السلوكي:

-نظرية ألبرت بان دورا، المعروفة أيضاً بنظرية التعلم الاجتماعي: هي نظرية معرفية سلوكية اجتماعية تركز على دور التجارب والتعلم من خلال الملاحظة والمحاكاة في تحديد السلوك. وقد وضعها العالم ألبرت بان دورا و هو عالم نفسي أمريكي في سبعينات القرن العشرين. تهدف هذه النظرية إلى فهم كيف يتعلم الأفراد سلوكاً جديداً من خلال مشاهدة الآخرين ومحاكاة تصرفاتهم. وفقاً لنظريته يتعلم الأفراد سلوكاً جديداً من خلال عملية التعلم الاجتماعي، حيث يراقبون تصرفات الآخرين ونتائج تلك التصرفات يتم تحديد السلوك الذي يتم اعتماده بناءً على العواقب الإيجابية أو السلبية لهذا السلوك. إذا كان الفرد يشاهد سلوكاً يحقق نتائج إيجابية، فمن المرجح أن يقلده ويتبعه. بينما إذا كان السلوك يؤدي إلى نتائج سلبية، فقد يتجنب الفرد تكراره. كما يعتبر باندورا أن الأفراد يحتاجون إلى توفر عوامل محددة لتعلم السلوك من خلال الملاحظة والمحاكاة. هذه العوامل هي:

1. الاهتمام: يجب أن يكون الفرد مهتماً بالمصدر الذي يقوم بملاحظة تصرفاته، ويكون قادراً على التركيز عليها.
2. الاستدلال الحاكم: يحتاج الفرد إلى فهم الخطوات والتفاصيل المطلوبة لتنفيذ السلوك المراد تعلمه.
3. القدرة العملية: يجب أن يكون الفرد قادراً على تنفيذ السلوك المراد تعلمه، بمعنى أنه يجب أن تتوفر لديه القدرة الجسدية والذهنية لذلك.
4. المحفز الانفعالي: يجب أن يكون لدى الفرد دافع قوي لتنفيذ السلوك، وأن يرغب في تحقيق العواقب الإيجابية التي قد تنجم عنه.

- نظرية ألبرت أليس للعلاج العقلاني الانفعالي (Rational Emotive Behavior Therapy - REBT)

REBT): هي نظرية علاجية نفسية تأسست في عام 1955 من قبل العالم والمعالج النفسي ألبرت أليس. تعتبر REBT إحدى الطرق الرائدة في العلاج السلوكي المعرفي وهي أول أشكال العلاج الذي يركز على تقويم وتغيير الاعتقادات السلبية والتفكير غير الصحيح الذي يؤثر على العواطف والسلوك. تتناول REBT الإيمان الأساسي بأنه ليست الأحداث نفسها التي تسبب الاضطرابات النفسية، بل هو الاعتقادات والتقييمات التي نضعها على تلك الأحداث. يعتقد أليس أننا قادرون على تغيير تفسيراتنا واعتقاداتنا السلبية الخاطئة بتطبيق العقلانية الواقعية. يهدف العلاج العقلاني الانفعالي إلى تحديد وتحويل الاعتقادات المعيقة والتفكير المنحرف وتعزيز الاعتقادات الإيجابية والصحية لتحسين التصرفات والعواطف.

مفتاح نجاح REBT هو تحويل الاعتقادات السلبية الشائعة المعروفة بالـ "الإدراكات" إلى "الإدراكات الجديدة" الأكثر توازنًا وعقلانية. يتم ذلك من خلال تحديد الاعتقادات السلبية والتفكير غير الصحيح واختبار صحتها وصحة تأثيراتها. بعد ذلك يتم استبدالها بأفكار أكثر إيجابية ومفيدة تساعد على تقليل الضغوط النفسية وتحسين الاستجابة للمواقف الصعبة. (Ellis, 1957, p38-44)

-نظرية الخرائط المعرفية لأرون بيك:

يركز الأسلوب العلاجي على الاستبصار، إذ يؤكد (بيك) على تغيير الأفكار السلبية والمعتقدات المرضية لدى الفرد، ويعتمد على النظرية العقلانية التي تقول بأن الناس يشعرون ويتصرفون بناءً على وعيهم وتفسيرهم لخبرتهم، كما طور "بيك" نظريته بعيداً عن "أليس" لكنهما تبادلا الأفكار حيث قدر "بيك" لـ "أليس" تقديمه للمفاهيم الأساسية التي سلطت الضوء على العوامل المعرفية كأساس لتغيير المشاعر والسلوك. أن الأساس النظري عند "بيك" يرى أنه: لا بد من معرفة المحتوى المعرفي للفرد من حيث ردة فعله اتجاه الأحداث المزعجة أو تدافع الأفكار حتى نفهم طبيعة الاضطرابات. "ويوجد نوعان من التفكير تم التركيز عليهما هما الأفكار الآلية (عبارة عن صور وأفكار ذهنية تظهر بشكل لا إرادي خلال تدفق الوعي الشخصي) والمعتقدات المضمرة (هي المعتقدات والافتراضات التي تكون محتوى الأفكار الآلية). ويقوم أسلوب "بيك" العلاجي على أسس نظرية فحواها أنه لا يوجد لدى الفرد أبنية معرفية ثابتة وقد أسماها "الخرائط المعرفية" وهي التي تحدد كيف يسلك الفرد وكيف يشعر، وتعتبر الأحداث اللفظية والمصورة في شعور الفرد مستمدة من اعتقاداته وافتراضاته المتضمنة في المخططات المعرفية هي نتاج أخطاء معينة في عادات التفكير أو المعرفة مما يؤدي إلى تغييرات خاطئة للموقف المشكلة. (عزى، صاديق، 2018، ص 660-661).

- النظريات المعرفية والنظريات السلوكية تلعب دورًا حاسمًا في توجيه تصميم وتنفيذ البرامج المعرفية السلوكية لتعديل السلوك الانحرافي لدى المراهقين من خلال:

- فهم السلوك: تساعد النظريات المعرفية في تفسير كيفية تكوين السلوك والتفاعل مع العوامل المحيطة والشخصية تُمكن من تحليل الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى السلوك الانحرافي للمراهقين.

- تحليل العوامل المؤثرة: تساعد النظريات السلوكية في تحليل العوامل البيئية والاجتماعية والنفسية التي تؤثر على السلوك الانحرافي يمكن استخدام هذه التحليلات لتحديد النقاط الضعيفة والمؤثرات الرئيسية.

- تصميم البرنامج: بناءً على التحليل النظري والسلوكي، يتم تصميم البرنامج بطريقة موجهة تأخذ في اعتبارها النواحي المعرفية والسلوكية يتم تحديد الأهداف والاستراتيجيات التي يجب تنفيذها لتحقيق تغيير إيجابي.

- تطوير أساليب التدريس: تقدم النظريات السلوكية والمعرفية نظرة عميقة على كيفية تعلم المراهقين وتأثير العوامل المختلفة على تطورهم يُعدّ تكييف أساليب التدريس والتفاعل مع المراهقين استناداً إلى هذه النظريات أمراً أساسياً.

- تقييم النتائج: تساهم النظريات في تصميم واستخدام أدوات التقييم المناسبة لقياس تأثير البرنامج يمكن استخدام هذه الأدوات لتحليل تقدم المراهقين وضمان تحقيق الأهداف المرجوة.

- التكيف والتحسين: بناءً على النتائج والتقييم، يمكن تعديل وتحسين البرامج المعرفية السلوكية لضمان تحقيق أقصى فائدة يمكن استخدام النظريات في توجيه هذه التحسينات.

باختصار، تعمل النظريات المعرفية والسلوكية معاً على توجيه تصميم وتنفيذ البرامج المعرفية السلوكية لتعديل السلوك الانحرافي لدى المراهقين، تقدم إطاراً نظرياً لفهم السلوك وتصميم استراتيجيات فعالة لتغييره بشكل إيجابي ومستدام.

1. السلوك الانحرافي:

الانحراف السلوكي هو مصطلح يُستخدم في علم النفس وعلم الاجتماع للإشارة إلى سلوك يخرج عن القواعد والقيم الاجتماعية المعتادة في مجتمع معين، يمكن أن يتضمن الانحراف السلوكي مجموعة متنوعة من الأفعال غير المقبولة أو غير القانونية، مثل السرقة، والتلاعب بالمخدرات، والتشدد في التصرفات العدوانية، والهروب من المسؤوليات الاجتماعية. يعتمد الفهم الدقيق للانحراف السلوكي على السياق الثقافي والاجتماعي، فما قد يُعتبر انحرافاً في مجتمع قد يكون مقبولاً في مجتمع آخر توجد دراسات كثيرة تتعامل مع أسباب الانحراف السلوكي، بما في ذلك العوامل البيئية والاجتماعية والنفسية التي تؤثر على سلوك الأفراد.

يمكن أن يكون الهدف من دراسة الانحراف السلوكي هو فهم العوامل التي تسهم في هذا السلوك وتطوير استراتيجيات للوقاية منه أو التدخل في حالة حدوثه، العلاج والبرامج التربوية يمكن أن تكون وسائل فعالة لتعديل الانحراف السلوكي وتوجيه الأفراد نحو سلوك صحيح ومجتمعي أكثر توافقاً مع القيم الاجتماعية.

2. الانحراف:

يعرف (ابن منظور، 1413هـ، ج3، ص129) الانحراف لغة: أنه الميل، أنحرف وترف: إذ مال الإنسان عن الشيء. (أحمد الريسي، 1426، ص11).

ويعرف أيضا بأنه: "ذلك السلوك غير المتوافق مع السلوك الاجتماعي السوي".
-ومن الناحية النفسية يعرف السلوك المنحرف على أنه: "عرض من أعراض عدم التكيف نتيجة قيام عقبات مادية أو نفسية تحول بين الحدث وبين إشباع حاجات على الوجه الصحيح." (طلعت عيسى، ص03).

-ومن الناحية القانونية تعرفه "بول تابان رمضان" على أنه: أي فعل أو نوع من السلوك أو موقف يمكن أن يعرض أمره على المحكمة ويصدر فيه حكم قضائي. (السيد، 2003، ص193).

1.2 مستويات الانحراف:



1.1.2 سمات المراهقين المنحرفين:

من أهم سمات المراهقين المنحرفين والتي حددها يابلونسكي في الدراسة التي أجراها سنة 1963 والذي استقى مادته من دراسة وثائق المنحرفين فوجد ما يلي:
-غالبا ما يكون المنحرفون غير ناضجين اجتماعيا.
-تكون نظرتهم للعالم ساذجة وبدائية.
-لدى المنحرفين علاقات مصلحة متداخلة مع الآخرين.
-يتمتعون بحساسية مرهفة بحيث تجعلهم يقدمون على العدوان بمجرد إدراكهم لنقد الآخرين في المجتمع.

-غالبا ما يتأثر المراهقين المنحرفين بجماعة الأصدقاء السوء والضعف في تحديد مستويات أدوارهم الاجتماعية.

-دوافعه للاندماج في المجتمع ضعيفة.

العدوان وارتكاب المحرمات: حيث تفوق قدرات المراهق ويفشل في السيطرة عليها وتظهر الانحرافات في الانفعالات والسلوك.

-ترك الواجبات مع القدرة عليها: وهي إعاقة لنمو الفرد وتقدمه، وفيه تقصير من المراهق في حق نفسه والمجتمع .

-الشعور بعدم الارتياح دائما و بعدم الكفاءة.(عوض سيد، عبد الموجود، ص28-29).

2.1.2. انحراف المراهقين في الجزائر:

تختلف ظاهرة انحراف المراهقين من مجتمع لآخر باعتبار أن لكل مجتمع أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الخاصة به ، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات تنتشر فيه هذه الظاهرة التي تختلف بدورها عن مثيلاتها في المجتمعات الأخرى ومن خصائص ظاهرة الانحراف في الجزائر:

-أنها كانت في الماضي محصورة في المناطق الحضرية ذات الكثافة السكانية العالية كالعاصمة، وهران، عنابة، إلا أنه وفي السنوات الأخيرة امتدت أكثر نحو المدن الداخلية ويمكن تفسير هذا الانتشار بعامل الهجرة نتيجة انتشار الإرهاب في تلك المناطق الكبرى، مما أدى إلى لجوء عدد كبير من السكان إلى المناطق الداخلية.

-أصبحت ظاهرة الانحراف في الجزائر تمتاز بالتخطيط وإحكام في التنظيم مثل القتل والسرقة والمتاجرة بالمخدرات.

-إن الانحراف ينتشر بكثرة لدى الذكور منه لدى الإناث، وهذا قد يرجع إلى عدم التصريح بجنح البنات وذلك لأن نسبة كبيرة من انحرافها مازالت غير معروفة، ولا يكشف عن نسبتها الحقيقية لأنها سرية كالإجهاض والبغاء وغيرها من الانحرافات التي لا يصح بها الأولياء، وهذا يرجع إلى قيم وعادات وتقاليد المجتمع الجزائري المتمسكة بشرف البنات وتشددتها معها حيث أن جنحة الذكر يحكم عليها من حيث درجة الضرر الذي يلحق بالصحة، وبالتالي تشير إلى جنح المراهقات في المجتمع الجزائري وإن كانت لها نفس خصائص جنح الإناث في بلدان أخرى فإنها تتميز برد الفعل الاجتماعي.(زرارة، 2004، ص103-104).

-ويمكن بناء على ذلك أن نميز شيئا آخر بخصوص الانحراف لدى المراهقين إذ أنه يختلف باختلاف الجنس من حيث الطبيعة فالمخالفات التي ترتكبها المراهقة مخالفات ضد الأخلاق بينما المخالفات التي يرتكبها الذكور غالبا ما تكون ضد القانون.(كركوش، 2011، ص90).

3.1.2 النظريات المفسرة للانحراف:

-النظريات البيولوجية:

لقد امتدت نظرية أرسطو في التعرف على أخلاق وصفات الفرد عن طريق معرفة صفاته الجسمية الى علماء الغرب، وذلك بواسطة أسلوب الكهانة الفراسة، وقد تم تطبيق أسلوب الفراسة

على بعض فئات المجرمين معللين أن الانحراف أو الجريمة يرجع في الأساس إلى اختلال النمو الطبيعي لأجزاء الدماغ، ويعتبر أصحاب النظرية البيولوجية العامل البيولوجي جزءاً هاماً في تكوين الشخصية. ورائد المدرسة البيولوجية "سيزار لمبروز" الباحث الإيطالي الذي أتاح له عمله في الجيش فرصة ملاحظة الجنود عن كثب، وقد لفت نظره أن الجنود المشاكسون ينفردون بخصائص لم تكن متوفرة عند العاديين. وقد لفت نظره أن هؤلاء الجنود اعتادوا وشم أجزاء من أجسامهم بصور فاحشة وصور ماجنة، وكان عند ترشيح جثث المجرمين، يجد عيوباً في تكوينهم الجثثاني، وخاصة في جماجمهم التي كان بها شذوذ في حجم الجبهة وشكلها الخارجي وكذلك الأسنان، إذ استنتج أن شذوذ أعضاء الجسم ينبأ عن طبيعة إجرامية خطيرة، فالمولود وسمات الإجرام ظاهرة في جسده، يكسر القانون فجأة ودون سبب واضح، أو ينحرف سلوكه تحت تأثير ظروف قاسية كالمرض، حرارة الطقس، أو الاستثارة الجنسية أو بتأثير من الدهماء. غير أن العالم "فري" طور عمل زميله "سيزار لمبروز" وأبرز أهمية دور كل البيئة الاجتماعية والطبيعية في تشكيل السلوك الانحرافي ولقد تعرضت نظرية لمبروز إلى انتقادات عديدة فقد انتقدها "ورود دايس" حيث أكد أن الجريمة والانحراف لا يمكن أن يكون ذات طابع فردي بيولوجي ثم جاء بعد ذلك "جورنج" وأكد أنه لا توجد سمات جسمية تميز المجرم عن غير المجرم وانتقد كذلك علماء الاجتماع نظرية "لمبروز" ووصفوها بأنها فيزيولوجية عضوية تميز المجرم عن سواه وحتى وان وجدت هذه الصفات فإنها غير كافية لإثبات شخصية الإجرام في فرد ما، وإنما العامل المهم هو دور المجتمع والحياة التي يحياها الفرد ومن شأنها أن تخلق الشخصية المجرمة أو العكس. (حسن الساعاتي، 1983، ص 92-93).

-نظرية التحليل النفسي:

فالانحراف يعبر بطريقة رمزية عن العقد النفسية التي تكونت في الطفولة بطريقة لاشعورية فحالات السرقة القهرية ترمز إلى انتزاع الحب والحصول على العاطفة في سورة الشيء المسروق، كما أن الانحراف سببه عقدة وأديب الناتجة عن حب الفرد لأمه لاشعورياً، ذلك الحب الجنسي الذي يمنع تحقيقه تقاليد المجتمع ومن ثم يسبب للطفل اضطراباً وضيقاً نفسياً نتيجة كبت عنيف لتلك الرغبة الجنسية الجامحة المكبوتة والتي ينفس عنها بالسلوك العدواني، خصوصاً سرقة ممتلكات الغير حيث تعوضه عن الفرد الذي لم يتمكن من تملكه وهي أمه.

فهناك ضعف في (الأنا) وعدم قدرته على أن يوفق بين رغبات الهو والواقع أي ليس هناك (أنا) قويا يجمع ويؤجل الاشباعات وليس هناك (أنا اعلي) قوية قادرة على كبت الرغبات وهكذا نجد أن نزعات الجنس والعدوان تشبع دون عناية بالواقع.

نظرية الضبط الاجتماعي: لقد اعتبرت نظرية الضبط الاجتماعي الوجه الآخر لنظرية مصادر الاتجاهات الانحرافية، فهي عبارة عن تحليل العمليات التي توجد في النسق الاجتماعي وتميل للتصدي لهذه الاتجاهات، وتحليل للظروف التي تعمل في ظلها مثل هذه العمليات، فميكانيزمات إحباط الانحراف لا تسعى للقضاء على عوامل الانحراف بل تعمل على الحث من أثارها ونتائجها والحيلولة دون تسربها للآخرين. فجوانب الضبط الاجتماعي المانعة تتكون من العمليات التي تعلم الفاعل أن لا يخرط في عمليات الانحراف أو يتورط فيه، وهي تتمثل في تعليم الفاعل أن لا يفعل أفعال معينة أكثر مما تعلمه كيف يقوم بأعمال معينة لها طابعها الإيجابي، وفي نفس الوقت تعتبر إعادة التوازن حالة خاصة في عملية التعلم، إذ أنها لا تنطوي على عدم تعلم العوامل الاغترابية في البناء الدفاعي. (عوض السيد، عبد الموجود، ص 12-13).

- دور البرامج المعرفية السلوكية في تعديل سلوك المراهقين الانحرافي:

يكمن دور البرامج المعرفية السلوكية في تعديل سلوك المراهقين الانحرافي من خلال استخدام نهج مبتكر يجمع بين العناصر المعرفية والعناصر السلوكية. تتبع هذه البرامج نهجاً تدريسياً محدداً يتضمن مجموعة من الآليات والإجراءات التي تسهم في تحقيق تحسين السلوك وتعديله للمراهقين. هنا بعض الآليات التي تعتمد عليها هذه البرامج:

- التوعية والتعليم: تقوم البرامج المعرفية السلوكية بتزويد المراهقين بالمعرفة والوعي حول العواقب السلبية للسلوك الانحرافي والجريمة. يتم ذلك من خلال توفير معلومات مهمة حول الأخلاقيات والقوانين والعواقب القانونية لأفعالهم.

- تطوير المهارات: تساعد هذه البرامج المراهقين على تطوير مجموعة متنوعة من المهارات الاجتماعية والمهنية. تشمل هذه المهارات التواصل الفعال، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات الصحيحة، وإدارة الوقت، وبناء الثقة بالنفس.

- التفكير الإيجابي: يُشجع المراهقون على تطوير نمط تفكير إيجابي يعزز القيم والأهداف الإيجابية في حياتهم. يتعلمون كيفية التفكير بشكل منطقي وموجه نحو تحقيق النجاح وتجنب السلوك الانحرافي.

- التدريب على الحلول: توفر البرامج العديد من التقنيات والأدوات التي تساعد المراهقين على تحليل المشكلات والصعوبات والبحث عن حلول مناسبة. يتم تدريبهم على كيفية التعامل مع التحديات بطريقة بناءة.

- الدعم الاجتماعي: تشجع هذه البرامج على بناء علاقات اجتماعية إيجابية وداعمة. يتم تعزيز التواصل مع الأقران والعائلة والمجتمع ككل لتعزيز الدعم الاجتماعي والاندماج الاجتماعي.

- متابعة وتقييم: يتم تقديم متابعة دورية لتقييم تقدم المراهقين والتأكد من تحقيق النتائج المرجوة. تتم ضبط البرامج بناءً على التقييمات لضمان فعاليتها.

باختصار، تهدف البرامج المعرفية السلوكية إلى تزويد المراهقين بالأدوات والمهارات الضرورية لتحسين سلوكهم وتوجيههم نحو مسار حياة إيجابي. تعتمد هذه البرامج على مزيج من التوعية، والتعليم، وتطوير المهارات، والدعم الاجتماعي لتحقيق النجاح في تعديل السلوك الانحرافي.

3. الخاتمة :

في نهاية المطاف، تظهر البرامج المعرفية السلوكية أن لديها إمكانية كبيرة لتحقيق التغيير الإيجابي في سلوك المراهقين وتقليل السلوك الانحرافي. تقدم هذه البرامج إطارًا علاجيًا قائمًا على النظريات النفسية والاجتماعية التي تساعد المراهقين على فهم وتحسين أنفسهم وسلوكهم. يتعلم المراهقون كيفية التحكم في أفكارهم وانفعالاتهم، وكيفية تطوير مهارات التفكير الإيجابي والتواصل الاجتماعي وحل المشكلات.

على الرغم من وجود تباين في النتائج من دراسة إلى أخرى، إلا أن هناك دلائل قوية تشير إلى أن البرامج المعرفية السلوكية يمكن أن تكون ناجحة في تحقيق أهدافها بين المراهقين. هذا يعني أنها تمثل أداة قوية لتعزيز التطور الشخصي والاجتماعي وتحسين العلاقات الاجتماعية للمراهقين.

بالنهاية، يجب أن يتم تنفيذ هذه البرامج بعناية وتحت إشراف متخصصين مؤهلين لضمان تحقيق أقصى استفادة وتحقيق أفضل النتائج. إن استثمار الجهود في دعم وتوجيه المراهقين من خلال البرامج المعرفية السلوكية يمكن أن يكون له تأثير إيجابي على حياتهم وعلى المجتمع بشكل عام، مما يساهم في تقليل معدلات الجريمة وتعزيز التنمية الشخصية والاجتماعية للأفراد.

قائمة المراجع والمصادر:

1. ألاء الله حفيظ(2021):"فاعلية برنامج علاجي معرفي سلوكي للتخفيف من السلوك العدواني عند مراهق جانح"، مذكرة ماستر في علم النفس ، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر.
2. جابر عوض سيد، أبو الحسن عبد الموجود(2006):"الانحراف والجريمة في عالم متغير"، المكتب الجامعي الحديث، مصر.
3. رمضان السيد(1990):إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الفئات الخاصة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
4. ريمة زنائرة(2023):"التغير الاجتماعي في الجزائر وأثره على الانحراف"-تقرير نظري-،مجلة دراسات في سيكولوجية الانحراف، العدد01، المجلد8.
5. سامية حسن الساعاتي(1983):"الجريمة والمجتمع"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2.
6. صالح بن أحمد الريعي(1426هـ):"أساليب وقاية الطلاب من الانحراف كما يراها التربويين في المدارس المتوسطة الحكومية بمدينة الرياض"، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية، الرياض.
7. طرفة بنت صالح بن عبد الرحمن الدويس(2020):"فاعلية برنامج إرشادي معرفي سلوكي لتعديل التفكير الإجرامي لدى السجينات"، المجلة العربية للنشر العلمي، ع 50.
8. فتيحة كركوش(2011):"ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
9. فيروز زراقة(2004):"الأسرة وعلاقتها بانحراف الحدث المراهق"، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر.
10. محمد طلعت عيسى وآخرون:"الرعاية الاجتماعية للأحداث المنحرفين، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.
11. Ellis, A. (1957). Rational psychothérapie and individuel psychologie. Journal of Individuel Psychologie, 13(1), 38-44.
12. Ellis, A. (1955). Three approaches to the understanding and treatment of emotional disturbance. Journal of Clinical Psychology, 11(1), 39-43.